سلسلة الإسلام الصافي – ٣

www.saaid.net/kutob

مسك الأُلُـوَّة من دلائل النبوة

تأليف

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن من رحمة الله بعباده أن أرسل لهم الرسل لتدلهم على الغاية التي خلقوا من أجلها ، وهي عبادته عز وجل ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[2].

ومن رحمة الله بعباده أيضا أن أيَّد رسله عليهم الصلاة والسلام بالبينات الدالة على صدقهم ، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾[3] ، وهذه البينات تعتبر دلائل ظاهرة وحجج قاطعة لهم على أنهم رسل من عند الله حقا ، لأن تلك البينات ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثلها ، كعصا موسى مثلا ، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإخبار النبي محمدا ﷺ ببعض الغيوب المستقبلية التي تحققت في حياته وبعد مماته ، وكذلك معجزة القرآن الكريم ، وغيرها كثير من الدلائل الدالة على أن أولئك الرسل قد أرسلهم الله تعالى حقا.

والعلم بالدلائل النبوية يُثبت فؤاد المؤمن على الحق ، ويزيده إيمانا بالله تعالى.

وقد صنف أئمة الحديث كتب عدة في دلائل نبوة محمدا ﷺ ، وذكروا فيها المئات من الدلائل الثابتة عنه ﷺ ، وقد يسر الله في هذا البحث المبارك – إن شاء الله – جمع شيء كثير منها ،

---

[1] سورة الطور: ٥٦ .

[2] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[3] سورة الحديد: ٢٥ .

نفع الله بها جامعها وقارئها ، وجعلها عونا على اتباع سنته عليه الصلاة والسلام ، ووسمته «مِسكُ الأُلُوَّةِ من دلائل النبوة» ، وقد أخذته من الحديث الوارد في صفة الطيب الذي يتطيب به أهل الجنة وفيه: (ومَجامِرُهم الأُلُوَّة)[1].

وصلى الله وبارك على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي

صبح العاشر من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٣ هجري.

majed.alrassi@gmail.com ، www.saaid.net/book

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

[1] المِجمر هو الإناء الذي يوضع فيه الجمر والبخور ليتطيب الناس ، والأُلُوَّة هي العود ، ، والمعنى أن طيبهم العود ، جعلنا الله منهم.

مِسكُ الأُلُـوَّة من دلائل النبوة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وأجمعين ، أما بعد:

فقد سمَّى الله تعالى نفسه باسم «المؤمن» ، أي المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به ، بالآيات البينات والبراهين القاطعات والحجج الواضحات.[1]

وقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصِدق رسالته ، وقد ذكر ابن القيم[2] رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[3] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته ﷺ ، وقاطعًا لحجة من خالفه ، وأعظم تلك الدلائل هي القرآن الكريم ، المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة ، وسوف يأتي الكلام على وجوه إعجازه مع غيره من دلائل النبوة التي انقضت ، وكذلك دلائل نبوته التي لم تظهر بعد ، فسبحان من بهر برحمته العقول.

---

[1] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير اسم الله «المؤمن» ، وقد ورد هذا الإسم مرة واحدة في القرآن في خاتمة سورة الحشر.

[2] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

[3] ص ١١٠٧ .

الحكمة من دلائل النبوة

الحكمة من دلائل النبوة ثلاثة أمور:

الأول: إثبات النبوة ، بالاستدلال بالآية على أن صاحب الآية نبي ، وتحدي من أُرسِلَ إليهم ذلك النبي أن يأتوا بمثلها.

الثاني: حاجة المسلمين ، كما حصل لنبينا محمد ﷺ في قصة تكثير الطعام القليل ، ونبع الشراب بين يديه حتى كفى أضعاف حاجة العسكر ، وبَصْقِهِ في عين علي رضي الله عنه لما اشتكى منها فعادت سليمة[1] ، وكان كل هذا بين الصحابة لسد حاجتهم ، لم يكن أمام المشركين ليتحداهم أو ليثبت نبوته ، وإنما لحاجة المسلمين ، ولا شك أن في ذلك زيادة إيمان لمن حضر القصة أو سمع بها ، وإظهار كرامة النبي ﷺ .[2]

ومن ذلك ما حصل لموسى ﷺ لما فر بقومه من فرعون ثم أدركه ولم يكن أمامه إلا البحر فضربه بعصاه فانفلق فساروا فيه فنجوا ، فانشقاق البحر لم يكن للتحدي وإنما لحاجة المؤمنين معه.

أما إلقاء موسى لعصاه ثم ابتلاعها لعِصِيِّ السحرة فكانت من قبيل التحدي.

ومن هنا يُعلم أن تحدي النبي ﷺ لقومه لم ينقل إلا في القرآن خاصة ، لم يكن كلما ظهر شيء من الآيات تحدى به ، أو كان مقترنا بدعوى النبوة ، فإن الله تعالى لم يقل ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ إلا

---

[1] سيأتي تخريج هذه القصص الثلاث في مظانها بإذن الله.

[2] انظر كتاب «النبوات» (٤٩٨).

حين قالوا: افتراه[1] ، فلم يتحداهم به ابتداء.[2]

الثالث: تثبيت فؤاد المؤمن على الحق، ويزيده إيمانا بالله تعالى.

أنواع دلائل النبوة التي أوتيها محمد ﷺ

تنقسم دلائل نبوة محمد ﷺ إلى عشرة أنواع ، **فالأولى** بشارات الأنبياء قبله ، ولهذا شهد له بعض علماء أهل الكتاب بالنبوة قبل نبوته لما كان صغيرا وبعد نبوته.

والثانية أنه لو لم يكن نبيا لحذر الأنبياء منه ، ولانتشر هذا في كتبهم وسيرهم ، بينما الواقع خلاف ذلك.

والثالثة أنه ﷺ من أعقل الناس وأصدقهم ، يُقِر له بهذا أصدقاءه وأعداه ، قبل النبوة وبعدها.

والرابعة من الدلائل انقطاع استراق السمع من السماء قبيل بعثته ، لئلا يختلط الوحي بأكاذيب الكهان.

والخامسة من الدلائل أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع.

والسادسة أن الله خرق له العادة مرارا

والسابعة إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها.

والثامنة من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ .

والتاسعة إخباره عن أمور مستقبلية ، فوقعت كما أخبر بها ﷺ .

والعاشرة من الدلائل إنزال القرآن الكريم ، وهو الآية الخالدة الباقية إلى يوم القيامة.

---

[1] هذه الفائدة منتقاة من كتاب «النبوات» (٥٠٩ – ٥١٠).

[2] انظر كتاب «النبوات» (٥٤١).

تفصيل

الأولى من دلائل نبوته ﷺ بِشارات الأنبياء به ، ومن ذلك ذكر مبعثه في التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إسرائيل إِنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يدي مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتي مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَد﴾.

قال الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[1] رحمه الله كما في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية:

وقد بشَّرَت به ﷺ جميع الأنبياء ، ومنهم موسى عليه السلام ، ومما يشير إلى أن موسى مبشراً به ؛ قول عيسى عليه السلام في هذه الآية ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ ، والذي بين يديه هي التوراة ، أنزلت على موسى.

وقد جاء صريحاً التعريف به ﷺ وبالذين معه في التوراة في قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الْكُفَّارِ رُحماء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ ، إلى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة﴾.

كما جاء وصفهم في الإنجيل في نفس السياق في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ ، إلى آخر السورة.

وجاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِين﴾[2].

وجاء مصداق ذلك في قصة النجاشي لما سمع من جعفر عنه ﷺ فقال: أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم.[3]

وكذلك دعوة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ ، ولذا قال ﷺ : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت.[4]

---

[1] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصـــول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ. باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[2] سورة آل عمران: ٨١ .

[3] رواه أحمد (٤٦١/١) وغيره.

[4] رواه ابن حبان (٣١٣/١٤) عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين ، وإن آدم لمُنجدَلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ؛ أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

وقد خُصَّ عيسى بالنص على البشرى به ﷺ لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عمن[1] قبله ، كما قال ﴿مصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَي مِنَ التَّوْرَاة﴾ ، ومَن قبله ناقل عمَّن قبله وهكذا ، حتى صرح بها عيسى عليه السلام وأداها إلى قومه. انتهى.[2]

ولما كانت نبوءة محمد ﷺ مستقرة في كتب أهل الكتاب ؛ شهد بعض علماء اليهود والنصارى للنبي ﷺ بالنبوة قبل بعثته وبعدها ، لِما رأوا عليه من أماراتها في جسده وهيئته ، مما ورد في الكتب السابقة ، فمن حين مولده ﷺ كان الذي يراه من أهل مكة من غير أهل الكتاب يشعر أن سيكون له شأنا إذا كبر ، ثم لما شب أيقن بنبوته بعض الرهبان من أهل الكتاب وشهدوا له بالنبوة ، أما العرب فلم يكن عندهم من خبره شيء ، وذلك أن العرب كانوا كما قال ابن إسحاق في «السيرة»: كانت العرب أُمِّيِّين ، لا يدرسون كتابا ، ولا يعرفون من الرسل عهدا ، ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ، إلا شيئا يسمعونه من أهل الكتاب لا يثبت في صدورهم ، ولا يعملون به شيئا من أعمالهم.[3]

وسنكتفي بذكر عشر قصص في ذلك ، أولها قصته ﷺ مع **صاحب الدِّير**[4] ، وذلك أن عمه أبا طالب ذهب به في تجارة إلى الشام ، فنزلوا على صاحب دِير ، فقال صاحب الدير: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، ولا ينبغي أن يكون له أبٌ حي.

قال: ولِم؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

ورواه أحمد (١٢٨/٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٤٠/٢).

منجدل أي ملقى على الجَدالة وهي الأرض. انظر «النهاية».

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة البقرة ، آية ١٢٩: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله ، وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وفي صحيح البخاري: وهم بالشام. انتهى.

[1] في المطبوع (عما) ، ولعله تصحيف ، والصواب: (عمَّن) ، كما هو مُثبت مرة أخرى في آخر الجملة.

[2] تفسير سورة الصف ، باختصار.

[3] «السيرة» ، ص (٦٢) ، باب قصة الأحبار.

[4] الدِّير هو خان النصارى. انظر «لسان العرب».

قال: وما النبي؟

قال: الذي يوحى إليه من السماء ، فينبئ به أهل الأرض.

قال: الله أجلُّ مما تقول.

قال: فاتّقِ عليه اليهود.[1]

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير ، فقال: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي أن يكون له أب حي.

قال: ولم ذلك؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

قال: سبحان الله ، الله أجلُّ مما تقول.

وقال: يا ابن أخي ، ألا تسمع ما يقولون؟

قال: أي عم ، لا تنكر لله قدرةً.[2]

وأما القصة الثانية فرواها ابن سعد في «الطبقات» عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الله بن جعفر الزهري وداود بن الحصين قالوا: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ؛ فلما نزل الركب «بُصرى»[3] من الشام وبها راهب يقال له **بَحِيرا** في صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه ، فلما نزلوا بحيرا صنع لهم طعاما ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تُظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، واخضلَّت[4] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأَرسل إليهم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يَعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم ، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ ، قال بحيرا: يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي.

---

[1] أي قِهِ منهم.

[2] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣ – ٧٤).

[3] بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، قاله النووي رحمه الله في شرح الحديث.

[4] اخضلَّت أي ابتلت.

قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا في رحالهم.

فقال: ادعوه فليحضر طعامي ، فما أقبح أن تَحضروا ويتخلف رجل واحد ، مع أَني أراه من أنفَسِكم.

فقال القوم: (هو والله أوسطنا نسبا ، وهو ابن أخي هذا الرجل) ، يعنون أبا طالب ، (وهو من ولد عبد المطلب).

فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا ، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك.

فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما أبغضت شيئا بغضهما.

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

قال: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده ، فقَبّل موضع الخاتم ، وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، وجعل أبو طالب لِما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

قال: فابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هَلَكَ وأمه حُبلى[1] به.

قال: فما فعلت أمه؟

قال: تُوُفِّيت قريبا.

[1] أي حامل به.

قال: صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، وأحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبغُنَّه عنتًا[1] ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نَجِدُه في كتبنا وما رُوينا عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعا ، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره ، فنهاهم أشد النهي ، وقال لهم: أتجدون صفته؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه ، ورجع به أبو طالب ، فما خرج به سفَرا بعد ذلك خوفا عليه.[2]

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنية أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسا وعشرين سنة ؛ خرج في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلام لها اسمه ميسرة ، حتى قدِما «بصرى» من الشام ، فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان يقال له **نَسطور** ، فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه قبل ذلك فقال: يا ميسرة ، من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم قال: في عينيه حمرة؟

قال ميسرة: نعم ، لا تفارقه.

قال الراهب: هو هو آخر الأنبياء ، يا ليت أني أُدركه حين يؤمر بالخروج.

ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها ، فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء ، فقال له الرجل: إحلف باللات والعُزى.

فقال رسول الله ﷺ : ما حلفت بهما قط ، واني لأمُرُّ فأُعرض عنهما.

قال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة – وخلا به – : يا ميسرة ، هذا والله نبي ، والذي نفسي بيده إنه لهو ، تجده أحبارنا في كتبهم منعوتا ، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا.

---

[1] أي يريدون أن تصيبه المشقة والهلاك.

[2] مختصرا من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣-٧٤) ، وكذا روى القصة ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٥٣-٥٥) ، كما رواها الترمذي (٣٦٢٠) ، والحاكم (٢/٦١٥ – ٦١٦) ، وصححها الألباني.

وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ؛ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره ، قالوا: كأن الله قد ألقى على رسوله المحبة من ميسرة ، فكان كأنه عبدٌ لرسول الله ﷺ ، فلما رجعوا فكانوا بمر الظهران قال: يا محمد ، انطلق إلى خديجة ، فاسبقني ، فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك ، فإنها تعرف ذلك لك.

فتقدم رسول الله ﷺ حتى قدم مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجة في عُلِّيَة[1] لها معها نساء فيهن «نفيسة بنت مُنية» ، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره ، وملَكان يُظِلان عليه ، فأرته نساءها فعجِبن لذلك ، ودخل عليها رسول الله ﷺ ، فخبَّرها بما ربِحوا في وجهِهم[2] ، فسُرَّت بذلك ، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت ، فقال ميسرة: قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بقول الراهب نسطور ، وما قال الآخر الذي خالفه في البيع ، وربحَت في تلك المرة ضعف ما كانت تربح ، وأضعَفَتْ له ضِعف ما سمَّت[3] له.[4]

وروى ابن سعد في «الطبقات» عن بَرّة ابنة أبي تجراة قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة ؛ كان إذا خرج لـحاجته أبعد حتى لا يرى بيتا ، ويُفضي إلى الشعاب وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا.[5]

وأما قصته مع ورقة بن نوفل ؛ فإنه لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء ؛ رجع إلى خديجة فزعا يرجف فؤاده ، فأخبرها بالذي رآى ، فلما ذهب روعه انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة للنبي ﷺ : يا ابن أخي ، ماذا ترى؟

---

[1] أي غرفة. انظر «النهاية».

[2] أي لما انطلقوا في سفرهم تجاه الشام حيث ولوا وجوههم.

[3] أي أعطته من المال ضعف ما حددته له سلفا ، جزاء له على ما قام به.

[4] باختصار من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٤-٧٥) ، ورواها كذلك ابن إسحاق في السيرة ، (٢/٥٩) ، وقد نقل القصة ابن هشام في السيرة ، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ، (١/١٥٢-١٥٣).

[5] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٥).

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس[١] الذي نزَّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جَذَع[٢] ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ : أومُخرجيَّ هم؟

قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا.

ثم لم يَنشب[٣] ورقة أن تُوفي.[٤]

وروى ابن إسحاق في «السيرة» عن عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا:

لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ مِنا ، كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكُنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلَغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، نَتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وأرم ، فلما بعث الله تعالى رسوله أتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم﴾ الآية.[٥]

ومن دلائل نبوته عند أهل الكتاب ما قاله ابن الهيَّبان ، وكان حبرا[٦] من أحبار اليهود ، وكان عابدا لله ، وكان إذا دعا الله بالسُّقيا[٧] سُقوا وسالت الشعاب ، أتى من الشام إلى المدينة ، فلما حضرته الوفاة اجتمع إليه ثلاثة فتية فقال لهم: يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمَر[٨] والخَمِير[٩] إلى أرض البؤس والجوع[١٠]؟

---

[١] قال السيوطي في «الديباج»: (هذا الناموس) ؛ إشارة إلى الملَك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، وهو اسم لجبريل ، وأصله في اللغة: (صاحب سر الخير) ، يقال: نمست الرجل ، أي ساررته ، ونمست السر ؛ كتمته.

(١٨٧/١) ، الناشر: دار ابن عفان ، تحقيق أبي إسحاق الحويني.

[٢] أي يا ليتني أكون جذعا إذا نبئت ، والجذع هو الشاب.

[٣] ينشب أي يلبث.

[٤] رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

[٥] ص (٦٣) ، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧٥/٢) ، وكذا في (٧٦/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٦] الحَبر هو العالم ، وكان يقال لابن عباس الحَبر البحر.

[٧] أي المطر.

[٨] الخمر – بفتح الخاء والميم – هو المكان الكثيف الأشجار ، والمقصود بأرض الخمر هي الشام. انظر «النهاية».

[٩] الخمير هو الخبز ، سمي بذلك لأن عجينته تتخمر فتذهب فطورته. ولعله أرض الشام سُمِّيت بذلك لطيب ما يصنع من الخبز هناك والله أعلم. انظر «لسان العرب».

[١٠] يقصد المدينة.

قالوا: أنت أعلم.

قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مُهاجَرُه ، فأتَّبِعُه ، فلا تُسبقنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء **ممن خالفه** ، فلا يمنعكم ذلك منه.

ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فُتحت فيها قريظة ؛ قال أولئك الفتية الثلاثة – وكانوا شبابا أحداثا – : يا معشر يهود ، والله إنه الذي كان ذَكر لكم ابن الهيَّبان.[1]

فقال: ما هو به.

قالوا: بلى والله ، إنه لصفته.

ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم.[2]

وكذلك قصة سلمان الفارسي مع الراهب النصراني الذي كان بـ «عمُّورِيَّة»[3] ، وكان سلمان الفارسي مجوسيا ، فلما حضرت الراهب الوفاة قال سلمان له: إلى من توصى بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بُني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فلما مات لحق سلمان بالمدينة ثم التقى برسول الله ﷺ وآمن به ، في قصة طويلة رواها أحمد في «مسنده»[4].

وكذا قصة زيد بن عمرو بن نفيل مع حبر من أحبار الشام ، دله على النبي ﷺ ، وكان هذا قبل أن يبعث ، قال الحبر لزيد: إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته ، وقد خرج في أرضك نبي ، أو هو خارج يدعو إليه ، إرجع إليه وصدِّقه واتبعه وآمن بما جاء به.[5]

وختاما قصة النجاشي لما هاجر إليه جعفر بن أبي طالب وبعض الصحابة ، فلما بينوا له دين الإسلام وأن عيسى هو روح الله وكلمته ، وأنه ابن مريم العذراء التي لم يقربها بشر ؛ تناول النجاشي عودا من الأرض وقال:

---

[1] يقصد القتل والسبي لمن خالف أمره.

[2] رواه ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٦٤-٦٥) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٨١/٢).

[3] بلدة من بلاد الروم كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

[4] (٤٤١/٥ – ٤٤٣).

[5] روى هذه القصة الحاكم في «مستدركه» (٢١٦/٣) ، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٢) ، كتاب المناقب ، باب زيد بن عمرو بن نفيل.

يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزِن هذه[1] ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، والذي بشر به عيسى ابن مريم.[2]

وقد جاءت صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ، وحِرزا للأميين[3] ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب[4] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويُفتح بها أعين عمي وآذان صم ، وقلوب غلف.[5]

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ ، فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: جئت أسألك.

فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأذُنَي.

فنكَت[6] رسول الله ﷺ بِعودٍ معه فقال: سَلْ.

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر[7].

قال: فمن أول الناس إجازةً[8]؟

قال: فقراء المهاجرين.

---

[1] أي العود الذي تناوله.

[2] روى هذه القصة ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٢٩) ، باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه ، وصحح إسنادها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١٠٥ .

[3] الحرز هو الموضع الذي يتحصن به الإنسان من أسباب الهلاك ، والمقصود أن من اتبعه من الأميين وهم العرب فقد نجا من الهلاك ، وسمي العرب بالأميين لأن الكتابة كانت في وقتهم قليلة. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[4] السخب هو الصيَّاح ، والمقصود التساخب على الدنيا شحا وحرصا في الأسواق.

[5] رواه البخاري (٢١٢٥).

[6] أي ضرب الأرض. انظر «النهاية».

[7] الجسر هو الصراط الذي يضرب على متن جهنم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

[8] إجازةً أي عبورا على الصراط.

قال اليهودي: فما تُحفتهم[1] حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد النون[2].

قال: فما غداؤهم على إثرها[3]؟

قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: مِن عينٍ فيها تسمى سلسبيلا.

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.

قال: ينفعك إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأُذُنَي.

قال: جئت أسألك عن الولد[4].

قال: ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منِي الرجل منِي المرأة أذْكَرا بإذن الله ، وإذا علا منِي المرأة منِي الرجل آنثا بإذن الله.

قال اليهودي: لقد صدقت ، وإنك لنبي.

ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به[5].[6]

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مَقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي.

قال: ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أي شيء ينزِع[7] الولد إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزِع إلى أَخواله؟

---

[1] التحفة هي ما يلاطف به الرجل ليذهب به عنه المشقة والشدة ، كالفاكهة ونحوها. انظر «لسان العرب».

[2] النون هو الحوت ، والمقصود بزيادة كبده هي طرفها ، وهي أطيبها. انظر شرح النووي على «صحيح مسلم».

[3] أي بعدها.

[4] أي عن خلقه في بطن أمه.

[5] أي عن طريق الوحي ، وكان هذا في نفس المجلس الذي سأله فيه اليهودي.

[6] رواه مسلم (٣١٥).

[7] أي: ما الشيء الذي يجذبه في الشبه إلى أبيه.

فقال رسول الله ﷺ : خَبّرني بهن آنفا جبريل.

فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[1].

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة[2] كبد حوت.

وأما الشَّبه في الولد ؛ فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها.

قال: أشهد أنك رسول الله.

ثم قال: يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْت[3] ، إن علموا بإسلامي قبل أن تَسْألهم[4] بَهَـتُوني[5] عندك.

فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا.

فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله.

فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا ، ووقعوا فيه.[6]

وقد ذكر البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» قصصا كثيرة في هذا الباب فليراجعها من أراد الاستزادة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتاب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقص اللهُ خبره في ذلك فقال تعالى ﴿وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد﴾.

---

[1] أي من أشراط الساعة الكبرى.

[2] تقدم الكلام عليها.

[3] البُهت هو الكذب والافتراء ، والمقصود أنهم أهل كذب وافتراء.

[4] أي قبل أن تسألهم عني.

[5] أي كذبوا وافتروا علي.

[6] رواه البخاري (٣٣٢٩).

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وقد وُجدت البشاراتُ به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر.[1] انتهى مختصرا.

ثم نقل رحمه الله شيئا مما ورد في كتب أهل الكتاب التي يعترفون بصحتها ، قدر أربع صفحات ، فليراجعها من أراد الاستزادة.

والأناجيل المتوافرة بأيدي النصارى الآن — على ما فيها من التحريف – تبشر به ، انظر بحوث د. أحمد ديدات رحمه الله.

ولهذا استشهد الله على نبوة محمد ﷺ بشهادة من عنده علم الكتاب ، أي الكتب المنزلة من قبل وهي التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾.

[1] كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

النوع الثاني من دلائل نبوته ﷺ أنه لو لم يكن نبيا لحذر منه الأنبياء ، كما قال ابن كثير رحمه الله:

ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمَّت دولةُ أمتِه أقطار الآفاق عمومًا ما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيًا ؛ لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذَّر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنَفَّروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنَّ جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة ، ونَهَوْ أممهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم ، ونصُّوا على المسيح الدجال ، حتى نوح — وهو أول الرسل – قد أنذر قومَه منه.[1]

ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ﷺ ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء **خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتِّباعه ، والنهى عن مخالفته ، والخروج عن طاعته.**[2] انتهى.

قلت: أضف إلى ذلك أنه ﷺ لم يأتِ مُكذبا لمن قبله من الأنبياء مُزرِيًا عليهم ، كما يفعل الملوك المُتغلبة على الناس بمن تقدَّمهم من الملوك ، بل جاء مصدقا لهم ، شاهدا بنبوتهم ، ولو كان كاذبا مُتقوِّلًا مُنشِئًا مِن عنده سياسةً ؛ لم يُصدِّق مَن قَبله ، بل كان يُزري بهم ويطعن عليهم كما يفعل أعداء الأنبياء.[3]

---

[1] انظر «صحيح البخاري» (٣٣٣٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري أيضا (٣٣٣٨) ومسلم (٢٩٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] بتصرف يسير من كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٦/٢٦٤) من كتابه «البداية والنهاية».

[3] استفدت هذه الفائدة من ابن القيم رحمه الله من كتابه «إغاثة اللهفان» (٢/١١٣٦) ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد — مكة.

النوع الثالث من دلائل نبوته ﷺ أنه من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمخالف ، ولذا كان الرجل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق ؛ يبادر إلى الإيمان بالنبي ﷺ بمجرد ما يراه ويسمع كلامه ويعلم مضمون دعوته ، فيؤمن به ولا يرتاب في رسالته ، بل كان بعضهم يؤمن به بمجرد ما يراه ، ويقول: هذا ليس بوجه كذاب.[1]

ولهذا لما سمع به هرقل ملك الروم ، وعلِم بما تضمنته رسالته ، وما يأمر به وما ينهى عنه ؛ أيقن أنه رسول ، وكاد أن يؤمن به ، ولكن خشِي على نفسه من فوات الرئاسة ، فآثر الدنيا على الآخرة ، فهلك عياذا بالله.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِمادًا قدم مكة ، وكان من أزدِ شنوءة ، وكان يرقي من هذه الريح[3] ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك؟

فقال رسول الله ﷺ :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد.

قال: فقال: أعِد عليَّ كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغْنَ ناعوس البحر[4].

قال: فقال: هاتِ يدك أبايعك على الإسلام.[5]

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

---

[1] انظر «دلائل النبوة» لابن كثير ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

[2] انظر قصته مطولة في صحيح البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[3] قال النووي رحمه الله: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم: (يَرقي من الأرواح) أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح.

[4] أي وسطه ولجته.

[5] رواه مسلم (٨٦٨).

مجرد نظر المنصف إلى ما جبل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه من الأخلاق، وإلى أحكام دينه وكماله، وإلى عظمة القرآن وما احتوى عليه من المعجزات؛ **يضطره إلى تصديقه وإلى الخضوع لدينه وشرعه.**[1]

[1] «أصول عظيمة من قواعد الإسلام»، القاعدة الثانية، وتقع في «مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي» (٦/٣١٨)، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية.

النوع الرابع من دلائل نبوته انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته ، فقد كان الكهان من العرب تأتيهم الأخبار من السماء عن طريق الشياطين التي تسترق السمع ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ودنا مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع ، وصار من يقعد لاستراق السمع يرمى بشهاب ثاقب من النجوم كما أخبر الله في سورة الجن ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر هام من أمر العباد ، قال الله عنهم ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ ، وظنت قريش لما رأت الرمي بالنجوم أن ذلك علامة على قيام الساعة ، ثم لما بُعِث النبي ﷺ وأسلمت الجن ؛ عرفت سبب منعها من السمع وأنه لئلا يختلط الوحي بما يسترقونه ويلقونه إلى الكهان.[1]

وصدق الله ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

[1] انظر «سيرة ابن هشام» ، باب إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى. (١/١٦٥ – ١٦٦).

النوع الخامس من دلائل نبوته أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع مثل فلقِ الصبح[1] ، فقد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل ، فوقع الأمر كما رأى ، وهاجر إلى المدينة.[2]

ورأى أنه سيدخل المسجد الحرام بعدما هاجر من مكة ؛ فوقع ذلك ، ودخل المسجد الحرام فاتحا ، قال تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

ورأى في ليلة عشرين من رمضان أنه ساجد في ليلة القدر في ماء وطين ، فلما كانت ليلة إحدى وعشرين من رمضان أصابهم مطر ، فابتل المسجد ، فصلى بهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، فلما انقضت الصلاة رأوا أثر الماء والطين على جبهة النبي ﷺ وأنفه ، تصديقا لرؤياه التي رأى أنه يسجد في ماء وطين.[3]

ورؤاه الصادقة ﷺ كثيرة ، ومن أراد التوسع فعليه بكتاب التعبير من صحيح البخاري ، وكذا كتاب الرؤيا من صحيح مسلم ، باب رؤيا النبي ﷺ .

---

[1] هكذا قالت عائشة رضي الله عنها كما في البخاري (٣) ومسلم (١٦٠). وفلق الصبح أي ضوؤه وإنارته. انظر «النهاية».

[2] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٢) ، ومسلم (٢٢٧٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٨١٣) ومسلم (١١٦٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النوع السادس من دلائل نبوته أن الله خرق العادة له مرارا ، ومن ذلك تكثير الطعام ببركة دعائه ، وقد حصل هذا للنبي ﷺ مرارا ، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلَفّت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[1] ببعضه ، ثم أرسلَتني[2] إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك.

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فأدَمَتْهُ[3] ، **ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول[4]** ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.[5]

---

[1] لاثَ أي لفَّ ، والمقصود أنها لفت بعض الخبز على رأسه وبعضه على إبطه. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[2] المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

[3] العُكَّـة وعاء من جلد مستدير ، يختص لحفظ السمن أو العسل ، وهو للسمن أخص ، وقوله (أدمته) من أدم الشيء أي جعل معه إداما من لحم ونحوه. انظر «النهاية».

[4] أي ما يقول من الدعاء.

[5] رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة[1] فيها ثريد ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون.

قال له رجل: هل كانت تُمدُّ[2]؟

قال: فمن أي شيء تَعجَبُ؟ ما كانت تُمدُّ إلا من هٰهنا ، وأشار إلى السماء.[3]

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وقد جمعها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص.[4]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ تكثير الماء القليل ببركة يده ، فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[5] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، **والبركة من الله**.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .[6]

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة.

---

[1] القصعة وعاء يؤكل فيه ويُثرد ، أي يصنع الثريد.

[2] أي يُزاد ما فيها.

[3] رواه أحمد (١٨/٥) ، والترمذي (٣٦٢٥) ، وصححه الألباني ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] ومواطن تلك القصص كالتالي:

١) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢١٢٧).

٢) حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه ، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٦١٨) ومسلم (٢٠٥٦).

٣) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري في المغازي (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩).

٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في النكاح (٥١٦٣).

٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٧).

٧) حديث دكين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه ، رواه أحمد (١٧٤/٤) ، وصححه محققو «المسند».

٨) حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه ، رواه الحاكم (٨/٣ – ٩) ، وصححه الذهبي ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

٩) حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٧٩/١) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

١٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٥٢/٢) ، والترمذي (٣٨٣٩) ، وحسن الألباني إسناده.

[5] أي بقية من ماء قليلة.

[6] رواه البخاري (٣٥٧٦) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه النسائي (٧٧) والترمذي (٣٦٣٣) وأحمد (٤٦٠/١) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟
قال: ألفا وأربع مائة.[1]

وانظر حديث المسور بن مخرمة ومروان الذي رواه البخاري في كتاب الشروط[2] ، وحديث أنس الذي رواه البيهقي في «الدلائل»[3].

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مذكورة في «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وكذا في «صحيح مسلم» ، في كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

ومن خوارق العادات التي جرت له ﷺ ما جعل الله من البركة والشفاء في ريقه وعرقه وما انفصل من جسده كشعره ، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره ، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت: يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة؟

فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر.

فقال الناس: أُصيب سلمة.

فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة.[4]

ومما جاء في بركة يده الشريفة ما رواه قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقتُهُ[5] على وجنته[6] ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسأل النبي ﷺ فقال: لا ، فدعا به ، فغَمز حدقته براحتِه ، فكان لا يُدرَى أيُّ عينيه أُصيبت.[7]

وفي يوم خيبر اشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عينه ، فبصق فيها ودعا له فعادت سليمة.[8]

---

[1] رواه البخاري (٥٦٣٩).

[2] (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).

[3] (١٣٦/٦).

[4] رواه البخاري (٤٢٠٦).

[5] الحدقة هي العين. انظر «النهاية».

[6] الوجنة هي الخد.

[7] رواه أبو يعلى (١٥٤٩) ، (الناشر: دار الثقافة العربية – لبنان) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «بداية السول في تفضيل الرسول» ، ص ٤١ ، الناشر: المكتب الإسلامي ، ط ٤ .

[8] رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عته.

وقصص استشفاء الصحابة ببركة آثار رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مبثوثة في كتب السنة.[1]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ **حادثة انشقاق القمر** لما سأله أهل مكة أن يُريهم آية دالة على نبوته ، فانشق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما ، فقال النبي ﷺ : اشهَدوا.[2]

قال القاضي عياض[3] رحمه الله: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته.[4]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ أنه أخذ قبضة من تراب في غزوة حنين فرمى بها وجوه الكفار وقال: (شاهت الوجوه) ، أي قـبُحت ، فما بقي منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولَّوا مُدبرين ، فهزمهم الله عز وجل ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.[5]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ ؛ **رفْعُ بيت المقدس له وهو في مكة** حتى رآه ووصفه للناس وهو ينظر إليه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذَّبتني قريش قُمتُ في الحِجر[6] ، فجلاَّ[1] الله لي بيت المقدس ، فطفِقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.[2]

---

[1] انظر حديث سعد بن أبي وقاص الذي رواه مسلم (٢٤٠٤) ، وحديث السائب بن يزيد الذي رواه البخاري (٣٥٤٠) ، وانظر كذلك قصة حنظلة التي رواها الإمام أحمد (٦٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند» ، وقصة أبي العلاء بن عمير التي رواها الإمام أحمد (٢٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند».

[2] انظر صحيح البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٧٠) ، ومسلم (٢٨٠٢).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

[3] هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي ، ولد سنة ٤٧٦ ، درس على ما يقارب من مائة شيخ ، واستبحر من العلوم ، وولي القضاء ، كان إماما في الحديث ، له كتاب «الإكمال في شرح صحيح مسلم» ، كمل به كتاب «المُعلَم» للمازَري ، وله كتاب «الإلماع في أصول الرواية والسماع» ، وله كتاب «جامع التاريخ» فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، وله كتاب «الشفا في شرف المصطفى» ، وله غيرها. توفي رحمه الله عام ٥٤٤ . انظر ترجمته في «السير» (٢١٢/٢٠).

[4] «إكمال المعلم» (٣٣٣/٨) ، تحقيق يحيى إسماعيل ، ط دار الوفاء (مصر) ، ودار الندوة العالمية (الرياض).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

[5] انظر صحيح مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

[6] أي حِجر الكعبة الملاصق لها.

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ أنه **يرى من خلفه وهو يصلي بالناس إماما** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري.[٣]

[١] جلاً أي كشف وأوضح.

[٢] رواه البخاري (٣٨٨٦) ومسلم (١٧٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

[٣] رواه البخاري (٧١٩) ومسلم (٤٢٥).

النوع السابع من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها ، فوقعت كما أخبر ، فمن ذلك أنه نعى[1] النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ، والنبي ﷺ بالمدينة ، وصلى عليه صلاة الغائب.[2]

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشا لغزوة مؤته ، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر ، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة ، وبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نعى زيدا ثم جعفرا ثم ابن رواحة وهو قاعد في المدينة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له.[3]

ولما نزل النبي ﷺ بدرا قبل المعركة حدد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين ، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله.

فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .[4]

ومنها قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، وفيها أن رسول الله ﷺ أرسل عليا والمقداد والزبير رضـــي الله عنهم في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين ، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب إلى المشركين.

وحصل الأمر ، وأدركوها في تلك الروضة ، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاء لسر المسلمين.[5]

والأمثلة على هذا النوع من الدلائل عديدة ، وقد جمع شيئا كثيرا منها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

---

[1] أي أخبر بموته.

[2] انظر صحيح البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (١٢٤٦).

[4] رواه مسلم (٢٨٧٣).

[5] والقصة في صحيح البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

النوع الثامن من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَى فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ لِلذِّئْبِ ، وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ ، يُكَلِّمُنِي بِكَلامِ الإِنْسِ. قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا؟ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ[1] ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَزَوَاهَا[2] فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ الذِّئْبُ[3] ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: "قُمْ فَأَخْبِرْ" ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ ، وَقَالَ ﷺ : "صَدَقَ الرَّاعِي ، أَلا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلامُ السِّبَاعِ الإِنسَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنسَ ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلُ نَعْلَهُ وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ".[4]

وعن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنون[5] عليه ، وان الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسْني عليه ، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا) ، فقاموا ، فدخل الحائط[6] ، والجمل في ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار: يا نبي الله ، إنه قد صار مثل الكَلْبِ الكَلِب[7] ، وإنا نخاف عليك صولته ، فقال: (ليس عليَّ منه بأس) ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل.[8]

---

[1] الحرتين مثنى حرة ، والحَرَّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة ، والمدينة لها حرتان شرقية وغربية. انظر «النهاية».

[2] زواها أي جمعها وضمها.

[3] زاد أحمد هنا أن النبي ﷺ أمر فنودي في المسجد: (الصلاة جامعة) ، ليجتمع الناس ويسمعوا قول الراعي.

[4] رواه أحمد (٣/٨٣-٨٤) وابن حبان (٦٤٩٤) واللفظ له ، وقال الشيخ شعيب في حاشيته عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] أي يستقون عليه الماء من البئر.

[6] الحائط هو البستان.

[7] هو الكلب يشتد في أكل لحوم الناس ، فيصيبه داء شبيه بالجنون ، فإذا عض إنسانا أصابه – أي الإنسان – داء الكلب ، فيمزق ثيابه ، ويعوي عواء الكلب. انظر «لسان العرب».

[8] رواه أحمد (٣/١٥٨) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ، رواه أحمد (١/٢٠٤) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن قُرْط رضي الله عنه أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمس بَدَنات أو ست ينحرهن ، فطفِقْن يزدلِفن[1] إليه ، أيَّتُهُنَّ يبدأ بها.[2]

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[3]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعَدَ إلى أُحُدٍ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: أُثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[4]

ومن ذلك أيضا حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[5] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّه فسكت.[6]

---

[1] طَفِق أي أخذ في فعل شيء ما ، وهو هنا الازدلاف إلى النبي ﷺ ، أي التقرب منه ، والمقصود: جعلن يتقربن إليه ، كل واحدة تريد أن يبدأ النبي النبي ﷺ بنحرها قبل أختها.

[2] رواه أحمد (٤/٣٥٠) ، وأبو داود (١٧٦٥) ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١١٨ ، وكذا صححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

[3] رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

[4] رواه البخاري برقم (٣٦٧٥ ، ٣٤٧٢).

[5] العشار جمع عشراء ، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر.

[6] انظر صحيح البخاري (٩١٨ ، ٢٠٩٥).

النوع التاسع من دلائل نبوته إخباره عن أمور مستقبلية تحصل تبعا مع مرور الزمن ، فحصلت كما أخبر ، فمن هذا إيماؤه إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه[١].

وإخباره عن مجيء أويس القرني من اليمن ، وأن له والدة هو بها بار ، وأن به بياض بقدر موضع درهم أو دينار ، لو أقسم على الله لأبره ، فأتى إلى المدينة كما أخبر ، ولقيه عمر رضي الله عنه.[٢]

وإخباره عن استقامة القرون الثلاثة ، فحصل الأمر كما أخبر ، فكانوا خير القرون التي مرت عليها الأمة الإسلامية ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[٣]

ومنها إخباره بفتح اليمن والشام والعراق ، فوقع الأمر كما أخبر.[٤]

ومنها إخباره بفتح مصر.[٥]

ومنها إيماؤه إلى انتصار الروم على فارس ، فوقع الأمر كما أخبر ، وذلك قوله تعالى ﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض * وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ ، والبِضع هي ما دون العشر في العدد ، فغُلبوا قبل تمام المدة.[٦]

ومنها إخباره بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[٧]

ومنها إخباره بمقتل عثمان رضي الله عنه مظلوما.[٨]

ومنها إخباره بمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مظلوما.[٩]

ومنها إخباره بأن ابنته فاطمة أول الناس لحوقا به من أهل بيته بعد وفاته.[١٠]

ومنها إخباره بأن أول زوجاته لحوقا به بعد وفاته زينب رضي الله عنها.[١١]

---

[١] انظر حديث عائشة في صحيح البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢٣٨٧).

[٢] رواه مسلم (٢٥٤٢).

[٣] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) ، واللفظ للبخاري.

[٤] انظر صحيح البخاري (١٧٧٦) ، ومسلم (١٣٨٨) ، وكذا أبو داود (٢٤٨٣).

[٥] انظر صحيح مسلم (٢٥٤٣).

[٦] انظر «جامع الترمذي» (٣١٩٣) ، والبيهقي في «الدلائل» (٣٣٠/٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٧] انظر صحيح البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

[٨] انظر جامع الترمذي (٣٧٠٨) ، وصححه الألباني.

[٩] انظر صحيح البخاري (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٥).

[١٠] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٦) ومسلم (٢٤٥٠).

[١١] انظر صحيح البخاري (١٤٢٠) ومسلم (٢٤٥٢).

ومنها إخباره بإخراج اليهود من خيبر ، فوقع الأمر كما أخبر في خلافة عمر رضي الله عنه.[١]

ومنها إخباره أن بعض أمته سيركبون البحر غزاة ، وأن أم حرام منهم ، فكان الأمر كذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه.[٢]

ومنها إخباره بفتح فارِس.[٣]

ومنها إخباره بهلاك كسرى وقيصر ، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله.[٤]

ومنها إشارته ﷺ لوقوع بعض الفتن بالمدينة[٥] ، فوقعت كما أخبر ، فأولها مقتل عمر ثم عثمان ثم وقعة الحرة في زمن يزيد بن معاوية.

ومن دلائل نبوته إخباره ﷺ بأن الطاعون لا يدخل المدينة ، فوقع الأمر كما أخبر ، فلم يدخلها قط.[٦]

ومنها إخباره عن تفرق الأمة من بعده على فرق كثيرة ، فوقع الأمر كما أخبر.[٧]

ومنها إخباره بأن أناسا من أمته سيكذبون بالقدر ، فوقع الأمر كما أخبر ، فظهر أناس يدعون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، تعالى الله عن ذلك.[٨]

ومنها إخباره عن الفِرقة التي تسمي نفسها بالقرآنيين ، وهم الذين يدَّعون الإيمان بالقرآن ويكفرون بالسنة ولا يؤمنون بها ، فوقع الأمر كما أخبر ، وهم موجودون الآن ، أراح الله العباد والبلاد من شرهم.[٩]

ومنها إخباره ﷺ بأن بعض أمته سيتشبه باليهود والنصارى ، فوقع الأمر كما أخبر.[١٠]

ومن دلائل نبوته إخباره أنه سيأتي على أمته زمان لا يبالي المرء فيه من أين أخذ ماله من حلال أو من حرام[١١] ، فوقع الأمر كما أخبر ، كما هو الحال في زماننا.

---

[١] انظر صحيح البخاري (٢٧٣٠).

[٢] انظر صحيح البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

[٣] انظر صحيح مسلم (٢٩٠٠).

[٤] انظر صحيح البخاري (٣٥٩٥) ومسلم (٢٩١٨) ، وكذا حديث جابر بن سمرة الذي رواه مسلم (٢٩١٩).

[٥] انظر صحيح البخاري (١٨٧٨) ومسلم (٢٨٨٥).

[٦] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

[٧] انظر سنن أبي داود (٤٥٩٦) ، وقال الألباني في تعليقه عليه: حسن صحيح ، وفي الباب عند ابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، وصححه الألباني أيضا.

[٨] انظر صحيح مسلم (٨).

[٩] انظر سنن أبي داود (٤٦٠٤) ، والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[١٠] انظر صحيح البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

[١١] انظر صحيح البخاري (٢٠٥٩).

ومن دلائلها أيضا إخباره بظهور الخوارج ، وكان أول أمرهم لما أتى علي رضي الله عنه بمال من اليمن ، فقسمه النبي ﷺ بين أربعة نفر ، فقام رجل غائر العينين ، مُشرِفُ الوجنتين ، ناتئُ الجبين ، كثُّ اللحية[١] ، محلوق الرأس ، مُشمِّر الإزار ، فقال: يا رسول الله ، اتَّقِ الله!

فقال له رسول الله ﷺ : ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتق الله؟!

ثم لما ولى الرجل قال النبي ﷺ : إنه يخرج من ضِئضىء[٢] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

إلى أن قال: آيتهم رجل أسود إحدى عَضُديه[٣] مثل ثدي المرأة ، أو مثل البُضعة[٤] تدَردَر[٥] ، ويخرجون على حين فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فأُتِي به ، حتى نظرت إليه على نعتِ النبي ﷺ الذي نَعَتَهُ.[٦]

وفي رواية مسلم في وصفهم: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[٧]

ومن الأمور الغيبية التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها في المستقبل أن أقواما من أمته سيستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف ، فوقع الأمر كما أخبر.[٨]

ومن دلائل نبوته إخباره عن بعض أشراط الساعة الصغرى ، فظهر بعضها كما أخبر ، ومن ذلك قبض العلم[٩] ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، وكثرة المال[١٠] ، وفُشُو الجهل ، وشرب الخمر ،

---

[١] الكثاثة في اللحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة لكن فيها كثافة. انظر «النهاية».

[٢] الضئضىء هو الأصل ، والمقصود هو النسل. انظر «النهاية».

[٣] العضد هو ما بين الكتف والمرفق. انظر «النهاية».

[٤] البُضعة هي القطعة من اللحم. انظر «النهاية».

[٥] تدردر أي ترتج ، وأصلها تتدردر ، ولكن حذفت إحدى التاءين تخفيفا. انظر «النهاية».

[٦] انظر صحيح البخاري (٣٦١٠ ، ٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

[٧] قال مقيده عفا الله عنه: والخوارج فرقة ظهرت في ذلك الزمان ، وهي موجودة إلى الآن ، وهناك من الطوائف الآن من يحمل فكرها الثوري ، كالجماعة المسلحة في مصر ، قال الشيخ مقبل في «دلائل النبوة» ، ص ٦٠٠ : هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت بمصر وامتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية.

[٨] انظر صحيح البخاري (٥٥٩٠).

والحِرُ هو الفرج ، والمقصود انتشار الزنا كما لو أنه حلالا ، وقد انتشر الزنا في بعض البلاد الإسلامية انتشارا واسعا عياذا بالله.

[٩] ويكون هذا بقبض العلماء.

[١٠] انظر صحيح البخاري (١٠٣٦).

والزنا[1] ، ويكثر النساء ، ويقِلُّ الرجال[2] ، وإخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون قوما ينتعلون نِعال الشَّعر[3] ، قال الحافظ في «الفتح»: وَقَدْ وَقَعَ لِلْإِسْمَاعِيلِي مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ «بَابَك» «بَابَك» كَانَتْ نِعَالُهُمْ الشَّعْر.

قُلْت: «بَابَك» مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ الزَّنَادِقَةِ ، اِسْتَبَاحُوا الْمُحَرَّمَات ، وَقَامَتْ لَهُمْ شَوْكَة كَبِيرَة فِي أَيَّام الْمَأْمُون ، وَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ كَطَبَرِسْتَان وَالرَّيّ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ «بَابَك» الْمَذْكُورُ فِي أَيَّام الْمُعْتَصِم ، وَكَانَ خُرُوجُه فِي سَنَة إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا ، وَقَتْلُهُ فِي سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. انتهى كلامه.

ومما ذكره النبي ﷺ في أشراط الساعة الصغرى إخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون الترك ، وقد جاء وصفهم بأن وجوههم كالمِجان المُطرقة[4] ، صِغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذُلف[5] الأنوف.[6]

قال النووي رحمه الله: وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وُجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، صغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، عِراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا ، وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم ، وسائر أحوالهم ، وإدامة اللطف بهم والحماية ، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى. انتهى.

ومما ذكره ﷺ في أشراط الساعة الصغرى ، فظهر كما أخبر ؛ ما جاء في حديث عمر بن الخطاب في «صحيح مسلم»[7] لما سأل جبريل النبي ﷺ عن علامات الساعة فقال: (أن يتطاول الرّعاة في البنيان) ، أي أن رُعاة الغنم والإبل يتركون الرعي ويشتغلون بالبناء حتى أنهم ليتطاول بعضهم على بنيان بعض ، وهذا مشاهد في هذا الزمان.

---

[1] انظر صحيح البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

[2] انظر صحيح البخاري (٨١) ومسلم (٢٦٧١).

[3] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى قوله (ينتعِلون نِعال الشعر) أي يلبسون النعال المصنوعة من شعر الإبل ونحوه.

[4] المجان جمع مِجن وهو الترس ، والطَّرق هو إلباسها العَقَب وهو العَصَب ، ولعل العصب خُصَّ بذلك لبياضه ، والمقصود عراض الوجوه ، بِياضُها.

[5] ذُلف الأنوف أي صغارها.

[6] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة.

[7] رقم (٨).

ومن ذلك أيضا ما حدّث به عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أَدَم[1] ، فقال:

أُعدُد سِتًّا بين يدي الساعة: مَوتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدِرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.[2]

قال ابن حجر في «الفتح»:

مُوْتَانِ ، قَالَ الْقَزَّاز: هُوَ الْمَوْت ، وَقَالَ غَيْره: الْمَوْت الْكَثِير الْوُقُوع.

قَوْله: (كَعُقَاصِ الْغَنَم) ؛ هُوَ دَاء يَأْخُذ الدَّوَابّ فَيَسِيل مِنْ أُنُوفهَا شَيْء ، فَتَمُوت فَجْأَة ، وَيُقَال إِنَّ هَذِهِ الْآيَة ظَهَرَتْ فِي طَاعُون عِمَوَاسٍ فِي خِلَافَة عُمَر ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْد فَتْح بَيْت الْمَقْدِس.

قَوْله: (ثُمَّ اِسْتِفَاضَة الْمَال) أَيْ كَثْرَته ، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَة عُثْمَان عِنْد تِلْكَ الْفُتُوح الْعَظِيمَة ، وَالْفِتْنَة الْمُشَار إِلَيْهَا أُفْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَان ، وَاسْتَمَرَّتْ الْفِتَن بَعْده ، وَالسَّادِسَة لَمْ تَجِئْ بَعْدُ.

قَوْلُهُ: (بَنِي الأصفر) هُمْ الرُّوم.

قَوْله: (غَايَة) أَيْ رَايَة ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَة الْمُتَّبِع ، إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. انتهى باختصار.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد ظهرت كلها إلا الهدنة المشار إليها ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ ، اللهم انصر المسلمين على من بغى عليهم.

ومن ذلك أيضا ما حدَّث به أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)[3] ، وقد وقع الأمر كما أخبر ، فصار الناس يتباهون بزخرفة المساجد ، وبعضهم ينفق الأموال الطائلة في سبيل التزيين ويعدها صدقة وقربة ، وهذا ليس بسبيل شرعي ، بل السبيل الشرعي هو ما كان في سبيل تقوية البناء أو توسعته.

ومنها إخباره بأن عبد الله بن بُسْر سيعيش مائة سنة ، فكان الأمر كذلك.[4]

---

[1] الأدَم هو الجلد.

[2] رواه البخاري (٣١٧٦).

[3] رواه أبو داود (٤٤٩) وابن ماجه (٧٣٩) ، وصححه الألباني.

[4] رواه أحمد (١٨٩/٤) ، وانظر ترجمة عبد الله بن بسر في «سير أعلام النبلاء».

ومنها إخباره عن خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى[1] ، وهي مدينة بالشام ، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة ، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[2].

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به من أن الناس سيأتي عليهم زمان يتركون فيه ركوب الإبل ، وقد تحقق هذا في زماننا هذا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : والله لينزِلُنَّ ابن مريم حكما عادلا ، فليكسِرُنَّ الصليب ، وليقتِلُنَّ الخنزير ، وليضعُنَّ الجزية ، **ولتُترَكُنَّ القِلاص فلا يُسعى عليها** ... الحديث.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾[3]:

ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح قوله ﷺ : (ولتترَكُنَّ القِلاص[4] فلا يُسعى عليها) ، فإنه قَسَمٌ من النبي ﷺ أنه ستُترك الإبل فلا يُسعى عليها ، وهذا مُشاهدٌ الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة[5].

وفي هذا الحديث معجزة عظمى تدل على صحة نبوته ﷺ وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه أكثر من أن تُحصر. انتهى.

فصل

وهناك أمور مستقبلية لم تظهر بعد ، ولكنها ستظهر قطعا ، مصداقا لقول النبي ﷺ ، ومن ذلك ما حدَّث به عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتلكم اليهود ، فتُسَلَّطون عليهم ، حتى يقول الحَجر: يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فاقتله.[6]

ومن ذلك أيضا ما أخبر به ﷺ من أن المدينة النبوية لا يدخلها الدجال.[7]

---

[1] رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٥٤ هـ.

[3] سورة النحل: ٨ .

[4] القلاص جمع قلوص وهي الناقة الشابة. انظر «النهاية».

[5] يعني الطائرات والقطارات والسيارات ، وقد تقدم ذكرها في كلام الشيخ رحمه الله.

[6] رواه البخاري (٣٥٩٣) ومسلم (٢٩٢١) ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢٩٢٦) ، ومسلم (٢٩٢٢).

[7] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

النوع العاشر من دلائل نبوته ﷺ هو القرآن الكريم ، وهو المعجزة الخالدة المستمرة من حين أنزِل إلى يوم القيامة ، فإن آيات الأنبياء قاطبة انقضت بموتهم ، ولم يبق لهم معجزة إلا ما حكاه أتباعهم عنهم مما شوهد في زمانهم ، أما القرآن فمعجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[1]

قال شمس الدين الذهبي رحمه الله:

هذه هي المعجزة العظمى ، وهي القرآن ، فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام كان يأتي بالآية وتنقضي بموته ، فقَلَّ لذلك من يتَّبِعه ، وكَثُرَ أتباع نبينا ﷺ لكون معجزته الكبرى باقية بعده ، فيؤمن بالله ورسوله كثيرٌ مِمَّن يسمع القرآن على مر الأزمان ، ولهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة. انتهى.[2]

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمعنى أن كل نبي قد أوتي من خوارق العادات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهى ، لا من أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذي أوتِـيه – أي جُلُّهُ وأعظمُهُ وأبهرُه – القرآن الذي أوحاه الله إليه ، فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم فلا تُشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد ، بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده ، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: القرآن الكريم مُعجِزٌ في ذاته من تسعة وجوه[4]:

الأول: بيانه وفصاحته ، فالقرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم ، وفي زمان بلغوا فيه الذِّرْوَةَ في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر ، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعون الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[5] ، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتوا بمثله[1] ،

---

[1] رواه مسلم (١٥٢).

[2] «سير أعلام النبلاء» ، قسم السيرة النبوية ، (٣٥١/٢٧) ، باب جامع في دلائل النبوة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[3] «البداية والنهاية» (٣٨١/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

[4] قولي إنها تسعة ليس على سبيل التحديد ، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه ، وربما كانت هناك وجوه أخرى ، فالله تعالى أعلم ، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

[5] سورة الأنفال: ٣١ .

والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[٢]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[٣] ، فعجِزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم ، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[٤].[٥]

وقال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية على طول الزمان من حين جاء به الرسول ، تُتلى آيات التحدي به ويتلى قوله ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾ و ﴿فأتوا بعشر سورٍ مثله﴾ و ﴿بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ ، ويُتلى قوله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾ ، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر[٦] وقطعِه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقاً يُعجز الثقلين عن معارضته ، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

ثم مع طول الزمان قد سمِعه الموافق والمخالِف ، والعرب والعجم ، وليس في الأمم من أظهرَ كتاباً يقرأه الناس وقال إنه مثله ، وهذا يعرفه كل أحد ، وما من كلام تكلم به الناس – وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنى – إلا وقد قال الناس نظيرَه وما يشبهه ويقاربه ، سواء كان شعراً أو خطابة أو كلاماً في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك ، وما وُجِد من ذلك شيء إلا وَوُجِد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مما يَعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته ، فلفظُه آية ، ونظمُه آية ، وإخبارُه بالغيوب آية ، وأمرُه ونهيُه آية ، ووعدُه ووعيدُه آية ، وجلالتُه وعظمتُه وسلطانُه على القلوب آية ، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية ، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.[٧]

---

[١] سورة الطور: ٣٣ – ٣٤ .

[٢] سورة هود: ١٣ .

[٣] سورة البقرة: ٢٣ .

[٤] سورة الإسراء: ٨٨ .

[٥] وانظر أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

[٦] أي في أول أمر نبوته.

[٧] كتاب «النبوات» ، ص ٥١٥ – ٥١٧ .

فائدة – التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظِها

لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنظم كالقرآن ، فهذا يرجع إلى اللغة التي أنزِل بها وهي العبرانية ، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني ، كالإخبار عن الغيوب ، وما فيها من الهدى والنور ، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد ﷺ .[1]

ثانيا: أنه ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له على قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾:
أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً كائناً ما كان ، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات ، ومعانيه كلها في غاية الكمال ، أخباره صدق ، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام.[2]

ثالثا: حِفظه من التحريف على مر العصور والدهور ، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب ، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾[3].

رابعا: حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريعات وأحكام ، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة ، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم ، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها ، وجعله مستغنٍ عن غيره من القوانين والدساتير.

خامسا: صِدقُ الأخبار التي تضمنها ، سواء التي مضت ، أو التي تحصل تَبَعًا مع مرور الزمن أثناء تَنَزُّل القرآن ، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية ، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض ، وقصة آدم وإبليس ، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ، وغيرها ، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.
وتَضَمَّن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة ، وبيان كتمان أحبار اليهود لها ، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾[4].

---

[1] انظر كتاب «النبوات» (٥١٩).

[2] «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ١٨ .

[3] سورة الحجر: ٩ .

[4] سورة آل عمران: ٩٣ .

وأما الآيات التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين ، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة ، كالآيات التي تَصَدَّرها قولُه ﴿ويسألونك﴾ ونحوها ، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعدِه لنبيِّـه بالنصر في الحروب ، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكدخول الـمسجد الحرام ، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[1] ، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمعٍ يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يَثِبُ في الدِّرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن ، فعجز الناس فعلا ، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه ، كقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، فوقع الأمر كما أخبر ، فكم من ملحدٍ حاول ثم نكص على عقبيه ، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله ، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[2] ، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع ، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك ؛ صاروا في ذيل الأمم ، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى ، واحتلوا بلادهم قرونا من الزمن[3].

---

[1] سورة القمر: ٤٥ .

[2] سورة النور: ٥٥ .

[3] تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونا) ، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله ، فقد انتقد كلمة (الاستعمار) ، فقال ما معناه إن مادة هذه الكلمة هي (العـمارة) ، ومن مشتقاتـها التعمير والعمران ، كما قال الله تعالى ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الخراب لا العمران ، فإنهم خرّبوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات ، وتركوا آثارا وبصمات سيئة بعد انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها ، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلى الآن هو الاستعمار ، وهذا خطأ لفظي واضح.
انظر «آثار الإبراهيمي» (٥٠٦/٣ – ٥٠٧).

ومن دلائل صدق القرآن ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية ، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر ، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه – مثلا – قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا ، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان.

وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان تمر **بأربعة** مراحل ، فقال تعالى في مطلع سورة المؤمنون: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

فالمرحلة الأولى هي أصل الخلقة ، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين ، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

المرحلة الثانية هي مرحلة تكون الإنسان في بطن أمه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى المراحل التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه ، وهي خمسة مراحل ؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم فوق العظام.

فقوله: (خلقنا النطفة علقة) أي دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلى مضغة ، أي قطعة لحم قَدْر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلى عظام.

ثم تُكسى العظام لحمًا ، ثم يُنشؤه الله خلقًا آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

والشاهد من هذا السَّرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها ، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل مذكورة في القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، فاستـــدلوا من هذا على أن القرآن كلام الله ، لا يمكن أن يكون الذي أتى به بشر ، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها ، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن ، وبعد ظهور المكتشفات الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلِّفَت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة ، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

سادسا: ومن دلائل إعجاز القرآن تنوُّع العلوم التي احتواها ، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأحقيته بالعبادة ، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات ؛ فإنه لم يقتصر على هذا ، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير ، بل هو المعيار الأساس لضبط علومِهم.

فتنوُّع العلوم هذه كلها تدل على أن النبي ﷺ صادق فيما يُبَلِّـغُه عن ربه ، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ ، لا يقرأ ولا يكتب ، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾[1].

سابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس ، سواء كانت نفوسا مؤمنة أو كافرة ، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[2] ، وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[3].

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش ، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن ، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[4] والحاكم في «مستدركه»[5] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمْ ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكَهُ ، فإنك أتيت محمدا لتَعرِض لما قِبَلَه.[6]

قال: قد علِمَت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقُل فيه قولا يبلُغ قومك أنك منكرٌ له ، أو أنك كارهٌ له.

---

[1] سورة العنكبوت: ٤٨ – ٤٩ .

[2] سورة الحشر: ٢١ .

[3] سورة الزمر: ٢٣ .

[4] تفسير سورة المدثر ، الآيات ١٨ – ٢٥ .

[5] (٥٠٧/٢).

[6] أي لتعرض نفسك لما عنده من مال ، يريدون أنه طمِع بما عنده ، فلهذا ذهب إليه.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجزٍ ولا بقصيدةٍ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشـــبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لِقوله الذي يقول حـــلاوة ، وإن عليه لطُلاوة[1] ، وأنه لمثمرٌ أعلاه ، مُغدِقٌ[2] أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعْني حتى أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر ، يأثِره عن غيره[3] ، فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[4].

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[5] والبيهقي في «الدلائل»[6] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكُـلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتُوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا) ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مـجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعـتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود) ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا ، والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

---

[1] أي رونقا وحسنا ، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

[2] الغدَق هو الماء الكثير ، وفي التنزيل ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ ، والمقصود بالـمُغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

[3] أي يرويه عن غيره.

[4] سورة المدثر: ١١ .

[5] كتاب «السيرة» ، ص (١٦٩) ، تحقيق محمد حميد الله.

[6] باب جماع أبواب المبعث (٢٠٦/٢).

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!) ، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

ولما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[1] ، وكان جبير يومئذ مشركًا ؛ قال : كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[2]

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[3] ، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسِهم ، وإحساسهم به في أعماقهم ، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.

وقد أثّر القرآن في بعض النصارى فآمنوا به ، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أُنــزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين﴾[4].

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح ، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[5] ، والكلام في هذا يطول ، وهو موجود في مظانه ، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[6] أن جماعةً ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله ، وقد أفرَدَ أسمائهم في مصنف.

ثامنا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية) ، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض ، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، وارتكاب الزنا واللواط ، وكذا إتيان النساء في فترة المحيض.

---

[1] سورة الطور: ٣٥ – ٣٧ .

[2] رواه البخاري مفرقا ، (٤٨٥٣ ، ٤٠٢٣).

[3] سورة فصلت: ٢٦ .

[4] سورة المائدة: ٨٣ .

[5] سورة الأنفال: ٢ .

[6] باب: النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن.

وأما إذا أُصِيب الإنسان بمرض فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة ، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل ، ﴿فيه شفاء للناس﴾[1].

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها ، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن ، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[2] ، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك ، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي ، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلى الله تعالى ، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3] ، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[4] ، ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[5] ، ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[6].

وقد شفى الله بقراءة القرآن الألوفَ المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية على مرِّ العصور ، ولا يزال هذا يُشاهدُ ويُمارسُ ، بل قد صار الاستشفاء بالقرآن مُقرَّرا في بعض العيادات النفسية.

تاسعا: ومن وجوه إعجاز القرآن يُسرُ حفظِه عن ظهر قلب لمن أراد ذلك ، خلافا لغيره من الكتب ، فقد حُفِظ القرآن كاملا في صدور الملايين من الناس منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا ، ومِمَّن حفظه من هو من المكفوفين ، ومنهم من هو من الأعاجم الذين يتكلمون اللغة العربية إلا قليلا ، فسبحان من بهر بكتابه العقول ، وسيستمر حفظه في صدور الناس إلى نهاية الدنيا.

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لم – ولن – يحصل لغيره من الكتب إطلاقا.

---

[1] سورة النحل: ٦٩ .

[2] سورة طه: ١٢٤ .

[3] سورة الرعد: ٢٨ .

[4] سورة الإسراء: ٨٢ .

[5] سورة يونس: ٥٧ .

[6] سورة فصلت: ٤٤ .

فوائد منثورة في موضوع دلائل النبوة

هذه فوائد متنوعة في موضوع دلائل النبوة ، أضعها بين يدي القارىء الكريم ، نفع الله بها.

كلمة جامعة في دلائل نبوة محمد ﷺ

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ونذيرا﴾[1]:

ذَكَر تعالى بعضَ آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به، فقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ونذيرا﴾، فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها, وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: في نفس إرساله, **والثاني**: في سيرته وهديه ودَلِّـهِ[2]، **والثالث**: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني قد دخلا في قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاك﴾، والثالث دخل في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ .

وبيان الأمر الأول وهو – نفس إرساله – أنه قد عُلِم حالة أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران والصُّلبان, وتبديلهم للأديان, حتى كانوا في ظلمة من الكفر قد عمتهم وشملتهم, إلا بقايا من أهل الكتاب قد انقرضوا قُبَيل البعثة.

---

[1] سورة البقرة: ١١٩ .

[2] الدَّلُّ هو الهدي والسمت والسكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة. انظر «النهاية» مادة: دلل.

وقد عُلِم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى, ولم يتركهم هملا, لأنه حكيم عليم, قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم, يأمرهم بعبادة الرحمٰن وحده لا شريك له, فبِمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه, وهو آية كبيرة على أنه رسول الله.

وأما **الثاني**؛ فمن عَرف النبي صلى الله عليه وسلم معرفة تامة, وعرف سيرته وهديه قبل البعثة, ونشوءه على أكمل الخصال, ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين, فمن عرفها, وسبر أحواله؛ عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين, لأنه تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم.

وأما **الثالث** فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم, والقرآن الكريم, المشتمل على الإخبارات الصادقة, والأوامر الحسنة, والنهي عن كل قبيح, والمعجزات الباهرة.

فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

انتهى كلامه رحمه الله.

أنواع دلائل النبوة بحسب استمراريتها أو انقضائها

يمكن تقسيم دلائل النبوة التي أيد الله بها نبيه ﷺ بحسب استمراريتها أو انقضائها إلى ثلاثة أنواع:

الأول: آيات حصلت وانقضت في عهد النبي ﷺ إذ كان حيا ، كانبعاث الماء من بين أصابعه ، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل ، وحادثة انشقاق القمر ، وتسليم الحجر عليه لما أشار إليه ، وحنين الجذع إليه.

الثاني: آية خالدة ، منذ بعث النبي ﷺ إلى قيام الساعة ، وهي القرآن الكريم وسنته المطهرة ، وهو أعظم الأدلة على نبوته ﷺ ، وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك قريبا إن شاء الله.

الثالث: آيات تأتي تبعا مع مرور الزمن وتنقضي ، وهي ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات ، كوقوع بعض الحروب ، وكعلامات الساعة الصغرى والكبرى ، وما يحدث بعد قيام الساعة إلى استقرار الناس في منازلهم ، في الجنة أو في النار.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والآيات نوعان: منها ما مضى وصار معلوما بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى ، ومنها ما هو باق إلى اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ ، وكالعلم والإيمان الذي في أتباعه ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضا من أعلام نبوته ، ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك)[1] ، وقوله (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى)[2] ، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة ، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[3] ، وظهر دينه وملته بالحجة والبرهان واليد والسنان ، ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه ، وغير ذلك ، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله ، وغير ذلك.[4]

تقسيم آخر لدلائل النبوة

يمكن تقسيم دلائل نبوة محمد ﷺ إلى نوعين ؛ قولية وفعلية ، فالقولية هي القرآن الكريم وما جاء في السنة الشريفة من تشريعات تبهر العقول ، تتضمن الاعتقادات الصحيحة والأحكام التشريعية والأخبار الصادقة والسلوكيات المستقيمة.

---

[1] رواه البخاري (٢٩٢٨) ومسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[2] رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٥٤ هـ .

[4] «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/٤٢٠-٤٢١).

والآيات الفعلية هي ما حصل على يده من الأمور الخارقة للعادة ، كانشقاق القمر ، وتكثير الطعام بين يديه ، وبصقه في عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما اشتكى منها فرجعت سليمة ونحو ذلك.

تنبيه إلى الفرق بين الآية والمعجزة

يحسن هنا التنبيه إلى أن «الآيات» هي التسمية الدقيقة للأمور الخارقة للعادة ، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن لفظ الآية والبَيِّنة والبُرهان هو الوارد في الكتاب والسنة ، وذكر جملة من الأمثلة على هذا[1] ، وأما لفظ «المعجزة» فلم يرد في القرآن ، ولا يدل على كون المقصود آية أو دليلا إلا إذا فُسِّر به ، وإن كان كونها معجزة وخرقا للعادة من لوازم وشروط وصفات كونها بينة وآية.[2]

كما يجدر التنبيه إلى أنه ليست كل الآيات التي أيَّد اللهُ بها أنبياءه من قبيل الإعجاز ، وإنما اختُصَّ بذلك الآيات التي وردت في سياق التحدي والإعجاز للخصم ، فالقرآن — مثلا – آية على نبوة محمد ﷺ وفيه تحدٍّ ، فيكون معجزة ، أما حنين الجذع إليه ، وتسليم الحَجَر عليه فإنه آية على نبوته ﷺ وليس فيه تحدٍّ ، فلا يوصف بأنه معجزة.[3]

وقد ذكر القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: (نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها) خمسة شروط للمعجزة ، فليراجعها من أراد التوسع.

في الآيات التي أوتيها النبي ﷺ ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره من الأنبياء

---

[1] انظر (القصص: ٣٢) ، و (النساء: ١٧٤) ، و (الإسراء: ١١١) ، و (الأنعام: ١٢٤) ، و (الشعراء: ١٤٥) ، و (الأعراف: ٧٣) ، و (آل عمران: ٤٩) ، (الأنعام: ٥ ، ٢٥) ، وغيرها.

[2] انظر كتاب «النبوات» (٨٢٨) ، و«الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» (٥/٤١٢-٤١٩).

[3] انظر «الجواب الصحيح» (٥/٤١٢-٤١٩).

في الآيات التي أوتيها النبي ﷺ ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره ، فتفجير الماء بين أصابعه مثلا أبلغ في خرق العادة من تفجير الحجر لموسى عليه السلام ، لأن جنس الأحجار مما ينفجر منه الماء ، أما الأصابع فليست من جنس ما ينفجر منه الماء ، فصار انفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

كذلك فإن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه – وهو الذي وُلد أعمى – مع بقاء عينه في مقرها ، أما رسول الله ﷺ فردَّ العين بعد أن سالت على الخد ، وهذا أعظم من آية عيسى من وجهين: الأولى التئامها بعد سيلانها ، والأخرى رد البصر إليها بعد فقده منها.

قال الشافعي رحمه الله:

حنين الجذع إليه أبلغ[1] ، لأن إحياء الخشبة أبلغ من إحياء الميت.

ولو قيل: (كان لموسى فلْق البحر) عارضناه بفلق القمر ، وذلك أعجب منه ، لأنه آية سماوية.

وإن سُئلت عن انفجار الماء من الحجر عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ، لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب.

ولو سُئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عارضناه بالمعراج.[2] انتهى.

قلت: ومن لطيف دلائل نبوته ﷺ أنه **نُصِر بالصَّبا** ، وهي ريح تهب من جهة المشرق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: نُصِرت بالصَّبا وأُهلكت عاد بالدَّبور[3].[1]

---

[1] أي أبلغ من إحياء الميت ، كما سيأتي في كلامه.

[2] رواه الفخر الرازي في كتابه «مناقب الشافعي» من طريق البيهقي عن الشافعي.

نقلا من حاشية كتاب «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي ، ص ٦٢ ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[3] الدبور ريح تقابل الصِّبا ، أي تأتي من جهة المغرب ، انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

وفي تسخير هذه الريح نكتة ، وهي أنها كانت مُسخَّرة لسليمان عليه السلام **تجري بأمره** ، أما الصَّبا فإنها مُسخَّرة لنبينا **بدون أمره** ، بل تأتيه بدون أمر لنُصرته ، وهذا أبلغ في الدلالة على نبوته.[٢]

دواوين أهل السنة التي عُنيت بحفظ دلائل النبوة

ودلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ، كلها تدل على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله حقا ، وقد حفظ علماء السنة رحمهم الله في القرون المتقدمة تلك الدلائل في كتب مفردة ، ورَوَوها بالأسانيد ، وأشهر تلك الكتب أربعة:

١. «دلائل النبوة» ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر البيهقي.
٢. «دلائل النبوة» ، للحافظ أبي بكر الفريابي.
٣. «دلائل النبوة» ، لأبي القاسم الأصبهاني.
٤. «دلائل النبوة» ، لأبي نعيم الأصبهاني.

ثم جاء علماء متأخرون واختصروا تلك الكتب ، ومن أشهر كتبهم:

٥. «أعلام النبوة» ، لعلي بن محمد الماوردي (٤٥٠ هـ).
٦. «دلائل النبوة» ، لعماد الدين ابن كثير ، ويقع في كتاب «البداية والنهاية».
٧. «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله (١٤٢٢ هـ).
٨. «دلائل النبوة» ، لسعيد باشنفر (يحوي أكثر من ١٤٠٠ دليل).

من دلائل نبوة الأنبياء إنجاء أتباعهم وإهلاك مكذبيهم[١]

---

[١] رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنه.

[٢] انظر «فتح القدير» للمناوي (٢٨٣/٦) ، الناشر: دار الفكر ، ط ٢ ، سنة ١٣٩١ هجري.

من دلائل نبوة الأنبياء إنجاء أتباعهم وإهلاك مكذبيهم ، وذلك مثل إغراق الله لجميع هل الأرض إلا نوح ومن آمن معه ، فهذا ليس له في العالم نظير.

وكذلك إهلاك قوم عاد ، وبلدهم إرَم ، وهذه ليس لها نظير في ذلك الوقت ، كما قال تعالى ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ، أهلكهم الله بالريح ، فصاروا كأعجاز نخل خاوية ، ونجا الله نبيه هود ومن آمن معه.

وكذلك إهلاك ثمود قوم صالح ، أهلكهم الله بالصيحة ، فصُعِقوا فماتوا كلهم ، ونجا الله صالح ومن آمن معه بعد أن أنذرهم ثلاثة أيام.

وكذلك قوم لوط ، أهلكهم الله بتكذيبهم بنبي الله لوط ، ولاستحلالهم للفاحشة ، فرفع الله مدائنهم إلى السماء ثم قلبت بهم ، ثم اتبِعوا بالحجارة من السماء.

وكذلك قوم فرعون ، أغرقهم الله بالماء عن آخرهم.

فالشاهد من هذا كله أن المكذبين بالرسل هؤلاء لم يكن بجنس ما يموت به بنو آدم ، فصار هذا من دلائل نبوتهم.

من دلائل النبوة ؛ الكعبة[٢]

ومن دلائل نبوة الأنبياء – إبراهيم ومن جاء بعده – الكعبة ، فإنها بيت من حجارة بوادٍ غيرِ ذي زرع ، ليس عندها أحد يحفظها من عدو ، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها ، فليس عندها رغبة ولا رهبة ، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة ، فكل من يأتيها يأتيها خاضعا ذليلا متواضعا ، في غاية التواضع ، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة وشوقا

---

[١] تم نقل هذه الفائدة من كتاب «النبوات» (٤٩٨) لابن تيمية رحمه الله.

[٢] تم نقل هذه الفائدة من كتاب «النبوات» (٥١٠ – ٥١٢) ، باختصار وتصرف يسير.

من غير باعث دنيوي ، وهي على هذه الحال من ألوف السنين ، وهذا مما لا يُعرف في العالم لِبُنيةٍ[1] غيرها ، والملوك يبنون القصور العظيمة فتبقى مدة ثم تُهدم ، لا يرغب أحد في بنائها ، ولا يرهبون من خرابها.

وكذلك ما بُنِي للعبادات قد يتغير حاله على طول الزمان ، وقد يستولي العدو عليه كما استولى على بيت المقدس ، والكعبة لها خاصة ليست لغيرها ...

وكذلك ما فعله الله بأصحاب الفيل لما قصدوا تخريبها ، قصَدها جيش عظيم ومعهم الفيل ، فهرب أهلها منهم ، فبرك الفيل ، وامتنع من المسير إلى جهتها ، وإذا وجَّهوه إلى غير جهتها توجه ، ثم جاءهم من البحر طير أبابيل ، أي جماعات في تفرقة ، فوجا بعد فوج ، رمَوا عليهم حصى هلكوا به كلهم ، فهذا مما لم يوجد نظيره في العالم.

حكمة الله في اختيار الآيات

من حكمة الله تعالى أن جعل الله كبريات المعجزات من جنس ما برز فيه أهل العصر الذي بعث فيه ذلك الرسول , ففي عصر موسى عليه الصلاة والسلام اشتهر قومه بالسحر , فكانت آية موسى من جنس ما ترقَّوا فيه , لكنها زادت عليه , فكانت حقيقة لا خيالاً .

وفي عصر عيسى عليه الصلاة والسلام كان علم الطب مترقياً إلى حد كبير , فجاءت آيته من جنس ما برزوا فيه وزيادة , فإن الطب في وقته لا يستطيع مداواة العمى والبرص , فجعل الله على يد نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام الشفاء من هذين المرضين.

---

[1] يعني: بناء.

وكذلك الأمر بالنسبه لنبينا محمد ﷺ ، فقد ترقى الناس في عصره في جانب الفصاحة , فكتبت المعلقات الفصيحة ونظمت القوافي البليغة , فجاء القرآن معجزاً لهم على أن يأتوا بمثله , ثم أعجزهم أن يأتوا بسورة مثله , فلم يستطيعوا أن يأتوا ولا بآية واحدة , فالحمد لله على ظهور الحجة.

آيات الأنبياء لا تُنال باختيارهم أو باختيار أقوامهم

آيات الأنبياء لا تنزل باختيارهم أو باختيار أقوامهم ، بل تنزل بحسب اختيار الله تعالى وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته ، وليست بحسب اقتراح الناس ، كما قال تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾[1].

واقتراح الآيات على الأنبياء قد أنكره الله تعالى في القرآن العظيم في غير ما آية ، وقد بين الحق تبارك وتعالى سبب الإنكار في أمرين:

الأول: أنهم لو آمنوا بتلك الآية لكان إيمانهم اضطراريا ، في حين أن العبرة إنما هي بالإيمان الاختياري وليس بالإيمان الاضطراري.

الثاني: أنهم مع هذا الإيمان الاضطراري إن لم يؤمنوا بعد نزول الآية فسيُنزِل الله عليهم العذاب بمقتضى سنته التشريعية.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾:

[1] سورة العنكبوت: ٥٠ .

ذَكَر في هذه الآية الكريمة أنه قادر على تنزيل الآية التي اقترحها الكفار على رسوله ، وبيَّن في موضع آخر أن حكمة عدم إنزالها أنها لو أُنزِلت ولم يؤمنوا بها لنزل بهم **العذاب العاجل** كما وقع بقوم صالح لما اقترحوا عليه إخراج ناقة عُشَراء[1] وبْراء[2] جوفاء[3] من صخرة صمّاء[4] ، فأخرجها الله لهم منها بقدرته ومشيئته ، فعقروها ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ ، فأهلكهم الله دفعة واحدة بعذاب استئصال وذلك في قوله ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾[5].[6] انتهى.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى من سورة الشعراء ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾: أي لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ، ولكن لا نفعل ذلك ، **لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الإختياري**. انتهى.

وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية نفسها: لا حاجة إلى ذلك[7] ولا مصلحة فيه ، فإنه إذ ذاك الوقت يكون الإيمان غير نافع ، وإنما الإيمان النافع الإيمان بالغيب. انتهى.

---

[1] ناقة عُشَراء أي مضى من حملها عشرة أشهر. انظر «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني ، مادة: عشر.

[2] وبراء أي كثيرة الوبَر وهو الصوف. انظر «لسان العرب» ، مادة: وبر.

[3] جوفاء أي عظيمة الجوف ، يشير إلى عِظَم خِلقتها. انظر «لسان العرب» ، مادة: جوف.

[4] صمَّاء أي صلبة مُصمتة ، ومعنى مصمتة ليس فيها ثقوب. انظر «لسان العرب» ، مادة: صمم.

[5] سورة الإسراء: ٥٩ .

[6] «أضواء البيان» ، باختصار يسير.

وانظر ما قاله ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى من سورة الإسراء ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون﴾.

[7] أي إلى الإيمان الاضطراري.

قلت: وقد اقترح المشركون على النبي ﷺ آيات كثيرة فلم يجبهم الله لما اقترحوه ، لأنه ليس لأحد أن يملي على الله ما يريده من الآيات ، قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ، قال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله في «تفسيره»:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يُؤتى به وملائكته ، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه ﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ، يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له ؛ لايقدر على ذلك غيره. انتهى.

فالحاصل أن الشأن في باب الإيمان بدلائل النبوة ليس الإيمان بالآيات الاقتراحية أو الاضطرارية التي يقترحها الناس على أنبيائهم ، بل الشأن في الإيمان بما أنزل الله على رسوله من الآيات التي ساقها على يده بحسب اختيار الله وحكمته.

اشتراك بعض الأنبياء في بعض الآيات واختصاصهم ببعض

الأنبياء قد يختصون ببعض الآيات ، وقد يشتركون ببعض ، فمن الآيات الخاصة آية القرآن لمحمد ، والتوراة لموسى ، والإنجيل لعيسى ، عليهم الصلاة والسلام.

ومن الآيات ما يشترك فيه كلهم ، كالإخبار عن الله بما أخبرهم به من الغيبيات.

ومن الآيات ما يشترك فيه بعضهم دون بعض كإحياء الموتى ، والعلاج من الأمراض ، فيكون لنبي نظير آية نبي ، فإن إحياء الموتى مشترك بينه وبين وموسى ﷺ ، قال الله تعالى في سياق قصة بني إسرائيل لما قال لهم موسى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾.

وإحياء الموتى مشترك بينه وبين نبي الله إلياس عليه السلام.[1]

ومع هذا فقد يجعل الله لنبي في آية معينة ما ليس عند غيره مع اشتراكهما في نفس الآية ، قال ابن تيمية رحمه الله:

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى ، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعِصِي التي للسحرة ، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا.

ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره ، وهي أعظم من إحياء الموتى ، فإن الإنسان كانت فيه الحياة ، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول ، والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم ، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا ، وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح ، قال تعالى ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[2] ، وقال تعالى

---

[1] انظر ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح» وكتاب «النبوات» (٨٢٣).

[2] سورة البقرة: ٥٥ – ٥٦ .

﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[2].

وأيضا فموسى عليه الصلاة والسلام كان يُخرج يده بيضاء من غير سوء ، وهذا أعظم من إبراء أثر البرص الذي فعله المسيح عليه السلام ، فإن البرص مرض معتاد ، وإنما العَجَب الإبراء منه ، وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها إلى حالها الأول ، ففيه أمران عجيبان لا يُعرف لهما نظير.

وأيضا فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرِق فيه فرعون وجنوده ، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.

وأيضا فموسى كان الله يُطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل ، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم ، وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة ، ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح.

انتهى كلامه رحمه الله.[3]

قلت: وهذا من دلائل تفضيل بعض الأنبياء على بعض أنْ آتى بعضهم من دلائل النبوة ما لم يؤتِ غيره ، قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾.

الفرق بين النبي والساحر

---

[1] سورة البقرة: ٧٣ .

[2] سورة البقرة: ٢٤٣ .

[3] انظر ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح» (٤/١٧ – ١٩).

كذَّب المكذبون بآيات الأنبياء ، وادعوا أنها من قبيل السحر ، ولو كان عندهم عقول يعقِلون بها وقلوب يفقهون بها لعلِموا أنها لا يمكن أن تكون من هذا القبيل ، لأن بين الآيات التي جاء بها الأنبياء وبين ما يأتي به السحرة فروقا كثيرة ، أولها أنه ﷺ أمر بقتل السحرة فكيف يُدْعى ساحرا؟!

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في كتابه «النبوات»[1] فروقا بين آيات الأنبياء وبين السِّحر والكهانة ، ننقلها هنا باختصار وتصرف:

أولاً: أن النبي صادق فيما يخبر به , لا يكْذِب قط , وأما من خالفهم من السحرة والكهان فلا بُد أن يكذب.

ثانياً: أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل وعبادة الله وحده ، ولا تفعل إلا ما يوافق ذلك , وهؤلاء المخالفون لا بُد لهم من ارتكاب الظلم ، والعدوان على الخلق ، بارتكاب الشرك وعبادة الشياطين وفعل الفواحش.

ثالثاً: أن العقول والفطر توافق ما أمرت به الأنبياء ، فإن الأنبياء كمَّلوا الفطرة وبصَّروا الخلق ، وتعاليمهم – أي الأنبياء – موافقة للعقول لا تُناقضها ، وأما السحرة والكهان وغيرهم من المخالفين فتعاليمهم وأفعالهم مخالفة للفطرة والعقل والحس ، بل هي مُفسِدةٌ للفطرة والعقل والحس ، فأما إفسادهم للحس والعقل فذلك بتخييل أمور للشخص المسحور خلاف ما هي عليه في الواقع ، ورؤية الشيء خلاف ما هو ،كالذين يرون الجن فيظنون أنهم إنس ، أو يرون شيئا على مثالِ مَا هو عليه وهو في الحقيقة بخلافه.

وأما لإفسادهم للفِطَر فإن الفِطَر ناشئةٌ على التوحيد ، والسحرة أفسدوا الفِطَر بارتكاب الشرك وتذويقه للناس.

---

[1] انظر ص ٥٥٨ ، ١٠٧٤ .

رابعاً: أن السحر والكهانة أمور معتادة معروفة لأصحابها ليست خارقة لعاداتهم , وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتبعهم.

خامسا: أن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه , بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد باكتسابه.

سادسا: أن ما تأتي به السحرة والكهان لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن , وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن , لأنها خارقة للعادة ، كما قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

سابعا: أن ما تأتي به السحرة والكهان يمكن أن تُعارض بمثلها وأقوى منها , وآيات الأنبياء لا يمكن أحداً أن يعارضها بمثلها ولا بأقوى منها.

ثامنا: أن خوارق غير الأنبياء من السحرة والكهان تُنال بأفعالهم من شرك وفجور ، وكذلك خوارق غير الأنبياء من الأولياء ، فإنها تُنال بسعيه ، من دعاء ونحوه ، كأن يقع في مصيبة فيلجأ إلى الله تعالى ، فيخرق الله له العادة فينجيه منها بأسباب غير عادية.

أما آيات الأنبياء فلا تُنال إلا من الله بغير اختيار من الأنبياء ، بحسب علمه وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته ، وليست تجيء بحسب اقتراح الناس ، كما قال تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية﴾[1].[2]

كرامات الأولياء من جملة آيات الأنبياء

---

[1] سورة الأنعام: ٣٧ .

[2] سورة الأنعام: ٣٧ .

الكرامة عند علماء الشريعة أمر خارق للعادة ، يُظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه ، وهم القائمون بما أوجب الله ، المنتهون عما حرم الله ، كما قال تعالى في وصفهم ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[1].

والكرامات من جملة آيات الأنبياء ، لأنها لا تحصُل إلا لمن اتبعهم ، ولأنه لولا الأنبياء لما كان الأولياء أولياء ، لأنهم ما صاروا أولياء إلا باتباعهم للنبي ﷺ .

ولكن كرامات الأولياء تعتبر من الآيات الصغرى ، أما الآيات الكبرى فخاصة بالأنبياء ، لا يُشاركهم فيها أحد غيرهم ، لا الأولياء ولا غيرهم ، وهي كخلق الطين من الطير ، ونزول الكتب ، وفلق البحر ونحو ذلك.

وعلة عدم المشاركة أن الله فضَّل الأنبياء على غيرهم ، فلا بد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله ، إذ لو أتى بمثل ما أتى به الفاضل لكان مثله ، لا دونه.[2]

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي ، بخلاف آيات الأنبياء

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي إطلاقا ، وإنما يُقصد بها الإكرام وتلبية حاجة ذلك الولي ، بخلاف آيات الأنبياء فقد يُقصد بها التحدي وقد يقصد بها تلبية حاجات الناس ، وعلى كل حال ففيها تنويه بكرامة ذلك النبي.[3]

تدوين كرامات الأولياء

---

[1] سورة يونس: ٦٢ .

[2] انظر كتاب «النبوات» (٥٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٢٣ ، ٨٦٦).

[3] انظر كتاب «النبوات» (١٠٨٤ – ١٠٨٥).

لا شك أن الكرامات تحصل للأولياء الصادقين ، ولكن لما كان شأنهم إخفاؤها خشية العجب والاغترار بالنفس ؛ فإن الكرامات التي دُوِّنت في الكتب قليلة ، وغير معلوم أكثرها للناس.

وأكثر ما دُوِّن من الكرامات – بحسب علم كاتب هذه الأسطر – كان لأصحاب الصدر الأول ، وكثير منها في غزواتهم بحضرة الجمع الغفير من الناس ، الذين لا يسع إخفاء الكرامة عليهم ، وقد ذكر ابن تيمية جملة منها في كتابه «الفرقان بن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»[1] جملة كثيرة من الكرامات التي حصلت لبعض الصحابة والتابعين ، كما ذكر جملة منها في كتابه «النبوات»[2] ، وأصولها مُخرَّجة في كتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي ، وكتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني ، وبعضها مخرج في كتب الدلائل والسير ، فليراجعها من أراد الاطلاع.

تم الكتاب بحمد الله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

[1] انظر ص ٣٠٠ وما بعدها.

[2] انظر ص (١٣٨ – ١٤١).

ثبت مراجع الكتاب

١. السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، عناية جاد الله بن حسن الخداش ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض

٢. دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٣. الصحيح المسند من دلائل النبوة ، مقبل بن هادي الوادعي ، الناشر: مكتبة صنعاء الأثرية ، سنة ١٤٢٤ هـ

٤. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمد بن عبد السلام بن شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة

٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق د. علي بن حسن الألمعي وغيره ، الناشر: دار الفضيلة — الرياض ، سنة ١٤٢٤ هـ

٦. الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمٰن ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى ، الناشر: دار الفضيلة — الرياض

٧. النبوات ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض

٨. سيرة ابن إسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله

٩. الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الزهري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٠. البداية والنهاية ، عماد الدين ابن كثير ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق